١٩٨٥. ومن خلال الجداول، حاول المؤلف قراءة بعض المؤشرات التي منها ان عمليات المقاومة في القطاع وفي بقية فلسطين المحتلة تتأثر بالاوضاع في الاقطار العربية المحيطة، وان العمليات في القطاع تتساوى مع ذات المستوى والمحتوى العام للعمليات في المناطق الفلسطينية الاخرى.

الفصل الخامس والاخير خصّصه المؤلف لـ «مستقبل المقاومة في قطاع غزة»، متناولاً ذلك من جانبين: «الجانب الفلسطيني» الذي يعتبر «المقاومة خياراً جماهيرياً» ينبغي ان يقوّى ويُعزّز. وينطلق المؤلف من رؤيته نحو ضرورة القيام بجملة من الخطوات التنظيمية والسياسية التي تجعل خيار المقاومة خياراً مستقبلياً حاسماً في قطاع غزة. وتابع المؤلف رؤيته الى «مستقبل المقاومة...» من «الناحية الصهيونية، مشيراً الى ان الهدف الدائم كان، ولا يزال، احباط المقاومة المسلحة، وافشال أي نوع من انواع المقاومة السياسية ايضاً». وفي كل الاحوال، فان المحتلين الصهيونيين ركزوا على ضرورة «تطبيع الحياة في القطاع تحت الاحتلال، وجعل التعايش مع الاحتلال حقيقة واقعة»، الامر الذي يتفق مع أهداف الصهيونية وعدم التخلي عن القطاع، أي تهويده وضمّه الى الكيان الصهيوني (ص ١٣٥ ـ ١٤٢).

وانطلاقاً من هذا الاستقراء، وصل المؤلف الى نتيجة ربط فيها «مستقبل قطاع غزة بمستقبل الارض المحتلة، ومستقبل هذه الاراضي بتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي ومسار القضية الفلسطينية» (ص ٢٠٣ ـ ٢١٣).

وفي خلاصة قراءة الكتاب يمكن تسجيل جملة من الملاحظات منهجية ومعلوماتية. المنهجية تتعلق بطبيعة تناول الموضوع من جانب المؤلف. وفي هذا الصدد، يمكن الاشارة الى ملاحظتين:

الاولى، هي عدم تقديم المؤلف لخلفية اقتصادية ـ اجتماعية للاوضاع في قطاع غزة قبل الاحتلال الصهيوني العام ١٩٦٧. وقد استتبع هذا الوضع ان المؤلف لامس الاوضاع السياسية للقطاع ملامسة دون الدخول في اعماقها، ليوضح الاسس العميقة لـ «المقاومة في قطاع غزة»، والتي تستمد جذورها من بنى سياسية اقتصادية ـ اجتماعية صلبة. وبطبيعة الحال، فقد أضعف ذلك الموضوع، وجعله عصيّاً، الى حد ما، على فهم القارىء الذي لا يمتلك أرضية اقتصادية ـ اجتماعية عن ظروف القطاع وطبيعة التطوّرات الجارية فيه، وحوله.

الثانية، هي قيام المؤلف بافراد فصلين كاملين، اضافة الى تمهيد، ممهّداً بذلك للدخول في موضوع الكتاب. وهذا الحجم الذي يساوي ثلث الكتاب لا يبدو، في رأينا، ضرورياً. وأكثر من ذلك، فان ذلك أغرق الكتاب في قضايا ليست في صلب موضوعه، من ناحية، وفرض على القارىء مفاهيم ومواضيع على هامش بعيد لموضوع البحث، محمّلاً اياه اعباء هو في غنى عنها. وكان ذلك عموماً على حساب الفصلين الآخرين من الكتاب، حجماً ومعلومات.

أما الملاحظات المعلوماتية، فتتعلق بما يمكن ان نسميه بالنقص الواضح في معلومات الكتاب، أو في كثافة معلومات لا يحتاجها الكتاب الى هذا الحدّ ربما. وفي ذلك يمكن ان نستعرض مثالين:

المثال الاول، ان هناك نقصاً واضحاً في ما يتعلق بعمليات المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة بين العامين ١٩٦٧ و١٩٧٠؛ وهي فترة ازدهار المقاومة المسلّحة في القطاع؛ وهذا ما أكّده المؤلف في أكثر من مكان في الكتاب، وما تتضمّنه الوقائع ايضاً. وكان بامكان المؤلف تجاوز هذا النقص بقليل من البحث والجهد. ولا تقتصر ملاحظتنا على السنوات السابقة للعام ١٩٧٠، بل تتعداها الى ما بعده، حيث ان هناك نقصاً في بيانات العمليات العسكرية للمقاومة الفلسطينية في القطاع لسنوات بعد العام ١٩٧٠، وبخاصة سنوات الثمانينات. وهذه البيانات والاحصائيات متوفّرة لدى الكثير من المصادر التي لا تبعد كثيراً من يد المؤلف، في تقديرنا.

المثال الثاني جاء في مواجهة المثال الاول، حيث أفرد المؤلف مساحات كبيرة لتقديم جداول عمليات (من الصفحة ١٤٢ الى الصفحة ١٩٩) دون نواظم محدّدة، ودون تقديم المبررات التي تفسر ورود هذه الجداول. وأكثر من ذلك، فان القراءة التحليلية لعمليات المقاومة المسلّحة في القطاع، طبقاً لما احتوته الجداول، جاءت قراءة مختصرة وغير كافية في دلالاتها ومعانيها، مقارنة بالعمليات العسكرية في انحاء فلسطين.

وتطرح هذه الملاحظات موضوع مراجع البحث، التي لم يضع الكاتب قائمة بها، كما هو مفترض، في